اكتشاف كارل يونغ

هناك نص دُفن في الصحراء المصرية لأكثر من 1500 عام. لم تكن مفقودة، بل مدفونة، أو مخفية عمداً من قبل أناس كانوا يعلمون أنهم سيُقتلون إذا عثرت عليها السلطات.

تم اكتشاف كتاب يوحنا السري، في عام 1945 بالقرب من نجع حمادي بمصر، إلى جانب 51 نصًا آخر أعلنت الكنيسة الأولى أنها نصوص هرطقية، وأمرت بتدميرها، وقضت قرونًا في محاولة محوها من الذاكرة البشرية. وعندما قام العلماء أخيرًا بترجمة هذه الوثائق وفهموا ما تحتويه، توصل العديد منهم إلى نفس الملاحظة بشكل مستقل. هذا ليس من قبيل الأساطير. هذا ليس مجازاً. كانت النصوص دليل تشغيل عملي للوعي البشري، كتبها أشخاص فهموا شيئًا عن طبيعة الواقع نسيناه بشكل منهجي. لم تقم الكنيسة بحجب هذه النصوص لأنها كانت غير ملائمة من الناحية اللاهوتية.

قامت الكنيسة بقمع هذه النصوص لأنها تحتوي على تعليمات محددة وقابلة للتكرار والتحقق من أجل شكل من أشكال التحرر لا يتطلب كهنة ولا مؤسسات ولا وسطاء من أي نوع. ولحظة فهمك لما تصفه تلك التعليمات بالفعل، ولحظة رؤيتك لما أمضى كارل يونغ 40 عامًا في محاولة إيصاله من خلال لغة علم النفس الآمنة، ستفهم لماذا تم حرق مكتبات بأكملها لمنع وصول هذه المعرفة إليك. لأن ما يعلمه كتاب يوحنا السري، وما أكده يونغ من خلال التجربة المباشرة، وما كان يسوع ينقله بالفعل في الأقوال التي لم تدخل في الكتاب المقدس، هو أن الواقع الذي تختبره كسجن ليس هو الواقع الأعمق. ومعرفة الفرق بين هذين الواقعين ليس استعارة روحية. إنها تقنية عملية ذات تأثيرات قابلة للقياس على كيفية إدراكك للوعي، وكيفية استجابتك للسلطة، وكيفية تعاملك مع المعاناة، وكيفية فهمك لما أنت عليه فعلاً وراء القصص التي قيلت لك عن نفسك.

إنّ الأركونات، وهي الكيانات الحاكمة الموصوفة في النصوص الغنوصية، ليست من الخيال العلمي. إنها وصف دقيق للقوى النفسية والهيكلية التي تُبقي البشر في حالة من

التماهي مع القيود. والسبب في أن الوصف الغنوصي لهذه القوى يولد مثل هذا الإدراك الفوري لدى الأشخاص الذين يواجهونه لأول مرة ليس بسبب الإيحاء أو التلاعب الروحي. ذلك لأن الوصف دقيق.

في القسم التالي من هذا الاستكشاف، ستتلقى ما أمضى كارل يونغ حياته المهنية بأكملها في محاولة نقله دون أن يتم رفض عمله أو تهديد حياته. ستفهم الأصول التاريخية لتعليم الموناد من خلال مصادر وتواريخ محددة. ستفهم لماذا تم قمع هذه المعرفة بطريقة لا تتطلب تفكيرًا قائمًا على نظرية المؤامرة، بل تتطلب فقط فهمًا دقيقًا للسلطة المؤسسية وعلاقتها بتحرير المعرفة. ستتلقى ممارسة الإدراك المكونة من ثلاثة أجزاء والتي استخلصها يونغ من تجربته الصوفية المباشرة ومن عقود من دراسة مواد نجع حمادي.

وستفهم الإطار العصبي والنفسي الذي يفسر سبب إنتاج هذه الممارسة للنتائج التي تنتجها. لأن المعلمين الغنوصيين لم يكونوا يدّعون ادعاءات خارجة عن نطاق التحقق الحديث. كانوا يصفون بنية الوعي بدقة لم يبدأ علم الإدراك الحديث إلا في اللحاق بها.

هذه ليست رحلة قصيرة. ما نتناوله اليوم يمثل 40 عامًا من أبحاث يونغ، و 2000 عام من التقاليد المكبوتة، وإطار عمل عملي يشير إليه الممارسون الجادون بأنه يستغرق ما بين 30 و 90 يومًا لإحداث تغييرات ملحوظة ومستقرة في تجربتهم للوعي.

إذا كنت هنا لأنك تريد تقنية سريعة تعدك بالتنوير الفوري، فهذا ليس ما تبحث عنه. إذا كنت هنا لأن شيئاً ما بداخلك قد أدرك أن المحتوى الروحي السطحي الذي صادفته يشير إلى شيء حقيقي لا يصل إليه أبداً، فأنت في المكان الصحيح تماماً.

لنبدأ بما حدث بالفعل لكارل يونغ بين عامي 1913 و 1916. يصف السرد الأكاديمي القياسي هذه الفترة بأنها مرض يونغ الإبداعي، وهي عبارة تم ابتكارها لجعل مجموعة من التجارب الغريبة والمهددة للغاية تبدو وكأنها حلقة نفسية مثمرة.

إن الحقيقة، الموثقة بخط يد يونغ نفسه في الكتاب الأحمر وفي مراسلاته الخاصة، هي أكثر إثارة للقلق وأكثر إثارة للاهتمام بكثير من النسخة المنقحة التي يتم تدريسها في أقسام علم النفس. كان يونغ قد أنهى مؤخراً انفصاله عن سيغموند فرويد، وهو انفصال كان مهنياً وشخصياً للغاية، ودخل في فترة من العمل الداخلي المكثف الذي اعتقد في البداية أنه استكشاف نفسي مباشر.

ما واجهه بدلاً من ذلك لم يكن ما أعده له تدريبه. وصف، بلغة حرص على توضيحها في كتاباته المنشورة، ولكنها كانت أكثر مباشرة في كتاباته الخاصة، اتصالاً بذكاء خارج عن نطاق نفسيته. ليس إسقاطاً لعقله الباطن، وليس عقدة تتجلى في صورة اختلاف ظاهري. شيء كان موجوداً بطريقة لم تستطع أطره النفسية تفسيرها بشكل كافٍ.

الكيان، وقد استخدم يونغ هذه الكلمة عن قصد في كتاباته الخاصة، كان يتواصل بما وصفه باليقين المطلق لسلطته الخاصة. لقد عرّف نفسه بأنه حاكم العالم المادي. لقد ادّع سيادته الإبداعية على المادة، وعلى الشكل، وعلى الأرواح المتجسدة في الأجساد المادية.

وطالبه، بقوة وصفها يونغ بأنها تكاد تكون طاغية جسدياً، بأن يعترف بسلطته المطلقة وأن يخضع لتوجيهاته. ما حدث بعد ذلك هو الجزء من تجربة يونغ الذي يحمل أكبر قدر من الأهمية لما نستكشفه اليوم. لأن يونغ، العقلاني، العالم، الرجل المدرب على تحليل الظواهر النفسية بدلاً من قبولها كما هي، فعل شيئاً لم يكن من المفترض أن يؤهله تدريبه للقيام به.

وجّه سؤالاً إلى الكيان. وبالتحديد، هل أنت مصدر الوعي نفسه؟ هل خلقت الوعي؟ أم أنك تقوم بتنظيم وإدارة واقع مادي يظهر فيه الوعي؟ وعي يسبق وجودك ويوجد على مستوى يتجاوز سلطتك. وبحسب رواية يونغ، فإن الكيان لم يستطع الإجابة على هذا السؤال. ليس بسبب الارتباك، بل لأن السؤال كشف عن قصور حقيقي.

كان للكيان سلطة على المادة. كانت له سلطة على الشكل. كان يتمتع بقوة استثنائية تعمل ضمن البعد المادي. لكنه لم يكن يملك سلطة على الوعي نفسه لأن الوعي نفسه لم يكن من صنعه. كان، وفقًا للمصطلحات الغنوصية التي سيكتشفها يونغ لاحقًا، أركون، حاكم، ذكاء حاكم، لكنه ليس الموناد، ليس المصدر النهائي، ليس ما أطلق عليه الغنوصيون اسم الذي ينبثق منه كل الوعي في الأصل.

وفي اللحظة التي سمّى فيها يونغ هذا التمييز، في اللحظة التي أوضح فيها الفرق بين قوة الحكم المحدودة ووعي المصدر اللانهائي، انهارت سلطة الكيان عليه. هذا هو الحدث المركزي الذي يتمحور حوله كل ما نستكشفه اليوم. ليس لأن يونغ كان يمتلك مواهب روحية غير عادية، ولكن لأنه عثر، من خلال التجربة المباشرة، على نفس الآلية التي كان المعلمون الغنوصيون يصفونها لقرون، والتي كان يسوع، في الأقوال المحفوظة في إنجيل توما و يوحنا السري، يعلمها بدقة غير عادية.

الإدراك يكسر السيطرة. إن إدراك النظام يزيل سلطته. المعرفة المباشرة (الغنوص) ليست ترفاً روحياً. إنها الآلية المحددة التي من خلالها يتحرر الوعي من القيود ويدرك طبيعته الحقيقية.

لفهم سبب نجاح هذا الأمر وسبب قمعه، نحتاج إلى العودة إلى الوراء بشكل كبير عن يونغ. نحتاج إلى الذهاب إلى الإسكندرية في القرن الثاني الميلادي، حيث كان العديد من أكثر المفكرين تطوراً في التاريخ يتصارعون مع مشكلة لم يكن لها حل مريح.

كانت المشكلة هي هذه. إذا كان الإله الموصوف في الكتب العبرية، الإله الذي يأمر بالإبادة الجماعية، والذي يقسو قلب فرعون لإطالة المعاناة من أجل التأثير الدرامي، والذي يطالب بالتضحية بالحيوانات، ويعبر عما يمكن وصفه فقط بالغيرة تجاه الآلهة الأخرى، هو نفس الإله الذي يصفه يسوع بأنه أب محب يعرف متى تسقط العصافير،

فإما أن الله يعاني من اضطراب شخصية عميق أو أن يسوع والكتاب المقدس العبري يتحدثان عن كائنات مختلفة تمامًا.

لم يكن المفكرون الغنوصيون في الإسكندرية، فالنتينوس، وباسيليدس، وبطليموس، وتلاميذهم، يمارسون الهرطقة بشكل عرضي عندما اقترحوا أن هذه كانت بالفعل كائنات مختلفة، بل كانوا يتبعون الآثار المنطقية للنصوص نفسها بدقة غير عادية.

فالنتينوس، الذي عاش في الفترة ما بين عامي 100 و 160 ميلادي تقريبًا، والذي اقترب بشكل ملحوظ، وفقًا للعديد من الروايات التاريخية، من أن يصبح أسقف روما قبل أن يخسر الانتخابات بفارق ضئيل، كان قد طور إطارًا كونيًا متطورًا يفسر هذا التناقض.

إله الخلق، الذي أطلق عليه اسم الديميورج، وهو مصطلح يوناني يعني الحرفي أو الصانع، كان ذكاءً حقيقياً، وقوة إبداعية حقيقية، ولكنه لم يكن المصدر النهائي للوعي.

لقد قام الديميورج بتشكيل العالم المادي، وكان له سلطة حقيقية على الواقع المادي، لكنه كان يعمل على مستوى أدنى مما أسماه فالنتينوس البليروما، أي الكمال (الإمتلاء)، وشمولية الوجود الإلهي الذي استمد منه كل من الديميورج والوعي البشري في الأصل.

لم يكن البشر في هذا الإطار مجرد كائنات مادية تمسها النعمة الإلهية من حين لآخر. لقد كانت شظايا من الوعي البليروميكي، عي الموناد، تم التقاطها مؤقتًا وجزئيًا في شكل مادي مع شرارة إلهية في جوهرها لم يخلقها الديميورج ولم يستطع السيطرة عليها في نهاية المطاف.

إن دلالات هذا الإطار ليست مجرد تجريدات لاهوتية. إنها عملية وفورية. إذا كنت وعيًا مونادياً يرتدي شكلًا ماديًا مؤقتًا، فإن تجربتك في الشعور بأنك محاصر، وتجربتك

في المعاناة، والتقييد، والخضوع لقوى أكبر منك، على الرغم من كونها حقيقية على مستوى واحد، إلا أنها ليست الحقيقة الأعمق حول ماهيتك.

الحقيقة الأعمق هي أن ما أنت عليه في جوهرك يسبق النظام المادي، ويعمل بتردد لا يستطيع النظام المادي احتواءه بالكامل، وبالتالي فهو ليس خاضعاً في نهاية المطاف لسلطة النظام المادي.

الغنوص، الإدراك التجريبي المباشر لهذه الحقيقة، ليست اعتقاداً تتبناه. إنها رؤية تحدث. وعندما يحدث ذلك، يتغير شيء ما في كيفية ارتباط الوعي بتجربته الخاصة بالقيود. ليس لأن الظروف المادية تتغير، بل لأن التماهي يتغير. تتوقف عن تجربة نفسك حصراً كسجين، وتبدأ في تجربة نفسك كوعي يخوض تجربة السجن، وهي علاقة مختلفة جوهرياً مع نفس مجموعة الظروف.

لم يكن المعلمون الغنوصيون يعدون بالهروب من الواقع المادي. كانوا يشيرون إلى تحول في مركز التماهي يجعل من الممكن التنقل في نفس الواقع المادي من موقع يتمتع بحرية واستقرار أكبر بكثير.

لم يكن إيريناوس الليوني، الذي كتب حوالي عام 180 ميلادي في عمله الضخم ضد الهرطقات، مخطئًا عندما وصف هذا التعليم بأنه خطير للغاية على السلطة المؤسسية. لقد كان مخطئاً ببساطة فيما يتعلق بمسألة ما إذا كان الخطر على السلطة المؤسسية والخطر على البشر هما نفس الشيء. فهو ليس كذلك.

إن التعليم الذي يساعد البشر على إدراك وعيهم بأنه سابق لوعي الكائنات الذكية الحاكمة للنظام المادي وليس خاضعاً لها في نهاية المطاف، يشكل خطراً بالغاً على أي شخص تعتمد قوته على عدم معرفة البشر بذلك. إنه ليس خطراً على البشر أنفسهم، بل على العكس تماماً.

إن فهم سبب قمع هذا التعليم يتطلب فهم شيء ما حول كيفية عمل السلطة المؤسسية في الواقع، ليس من خلال المؤامرة، ولكن من خلال شيء أكثر دنيوية، وبالتالي أكثر موثوقية، وهو توافق المصالح المؤسسية مع قمع المعرفة المحررة.

لم تكن الكنيسة التي برزت كشكل مهيمن للمسيحية في القرنين الثالث والرابع مؤامرة متجانسة. لقد كانت مؤسسة بشرية ذات اهتمامات بشرية، وهياكل سلطة بشرية، وردود فعل بشرية تجاه التهديدات المتصورة. ومثّل التعليم الغنوصي حول الديميورج تهديدًا وجوديًا حقيقيًا للنموذج المؤسسي الذي كانت الكنيسة تبنيه، ليس لأنه كان خاطئًا، ولكن بسبب ما كان ينطوي عليه من ضرورة الوساطة المؤسسية.

إذا كان الغنوص، وهو الإدراك التجريبي المباشر لوعي الموناد، هو آلية التحرر، وإذا كان هذا الغنوص متاحا لأي وعي فردي بغض النظر عن انتماءاته المؤسسية، فإن الكهنة ليسوا ضروريين. لا يشترط أن تُقام الأسرار المقدسة على يد رجال الدين المرسمين. إن الجهاز الكامل للوساطة المؤسسية بين البشر والحقيقة الإلهية ليس ضرورياً.

هذا ليس استنتاجاً مريحاً لمؤسسة يعتمد هيكلها بالكامل على ضرورة الوساطة المؤسسية. لم يتناول مجمع نيقية في عام 325 ميلادي، الذي انعقد برعاية قسطنطين، الغنوصية بشكل صريح. وقد تم إنجاز هذا العمل إلى حد كبير بالفعل من خلال المجالس السابقة والتدمير المنهجي للنصوص والمجتمعات الغنوصية. لكن ما أسسته نيقية هو نسخة من المسيحية تكون فيها الكنيسة كمؤسسة هي الوسيط الضروري بين البشر والله، ويكون فيها الخلاص وظيفة للإيمان الصحيح والمشاركة المناسبة في الأسرار المقدسة بدلاً من الإدراك التجريبي المباشر، وتكون فيها سلطة الأساقفة وفي النهاية البابا مرسومة إلهياً وليست مبنية بشرياً.

نجت نصوص نجع حمادي لأن راهباً أو مجموعة من الرهبان، على الأرجح من دير باخوم القريب، قاموا بدفنها في جرة مختومة في وقت ما في أواخر القرن الرابع، على

الأرجح رداً على رسالة عيد الفصح لأثناسيوس عام 367 م، والتي سرد فيها أسقف الإسكندرية القوي الكتب التي اعتبرها قانونية وأمر بتدمير جميع الكتب الأخرى.

من قام بدفن هذه النصوص أدرك أنه كان يحفظ شيئاً قررت المؤسسة أنه لا ينبغي للبشرية الوصول إليه. لقد كانوا على حق. عندما تُرجمت هذه النصوص ونُشرت أخيرًا في شكل يسهل الوصول إليه في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، بدأ باحثون مثل إيلين باجلز في جامعة برينستون بتوثيق شيء عملت الكنيسة جاهدة على منع أي شخص من ملاحظته، وهو أن المسيحية المبكرة كانت أكثر تنوعًا بكثير، وأكثر تطورًا بكثير، وأكثر توجهًا نحو التجربة من النسخة التي تم تناقلها.

فعلى سبيل المثال، لا يحتوي إنجيل توما، الذي يؤرخه العديد من العلماء إلى عقود قليلة من وفاة يسوع، وربما يحتفظ ببعض المواد الأقوالية السابقة، على أي من اللاهوت السردي للأناجيل القانونية. يتألف بالكامل من أقوال منسوبة إلى يسوع، والعديد منها عبارة عن تعاليم مباشرة حول الوعي، وطبيعة الملكوت، والعلاقة بين الوعي الفردي والمصدر الإلهي، والتي لا تشبه على الإطلاق المسيحية المؤسسية التي انبثقت من نيقية. يقول القول الثالث من إنجيل توما: "إذا قال لكم قادتكم: انظروا، الملكوت في السماء، فإن طيور السماء ستسبقكم. فإن قالوا لكم: إنها في البحر، فالسمك يسبقكم. بل إن الملكوت في داخلكم، وهو خارجكم. عندما تعرفون أنفسكم، ستُعرفون، وستدركون أنكم أنتم أبناء الآب الحي."

هذا ليس تعليماً حول الإيمان بالعقيدة الصحيحة. هذا درسٌ عن معرفة الذات كآلية للتحرر. إنه غنوصي في جوهره، وهو موجود في نص يعتقد العديد من العلماء أنه يحفظ أقوالاً أصلية ليسوع تم استبعادها عمداً من الأناجيل القانونية لأنها كانت غير متوافقة مع النموذج المؤسسي للمسيحية الذي كانت الكنيسة تبنيه.

اطلع يونغ على نصوص نجع حمادي قبل عقود من إتاحتها للجمهور، من خلال علاقته مع جيل كويسبيل، وهو باحث هولندي شارك في الحصول على أجزاء من المكتبة. لم

يكن رد فعله على ما قرأه رد فعل باحث يواجه وثيقة تاريخية مثيرة للاهتمام. كان ذلك رد فعل شخص أدرك، بقوة شبه مادية، على وصف دقيق لشيء اختبره شخصياً.

أمضى يونغ سنوات في محاولة إيجاد إطار عمل نفسي وفلسفي وأنثروبولوجي يصف بشكل كافٍ ما حدث له أثناء مواجهته مع الكيان الذي سيفهمه لاحقًا على أنه الديميورج.

لقد وفر النص الغنوصي ذلك الإطار بدقة ووجده مذهلا. كان هؤلاء أشخاصًا يكتبون في القرن الثاني وقد رسموا، بدقة غير عادية، البنية الدقيقة للتجربة التي مر بها في عام 1916.

إن ادعاء الديميورج السلطة المطلقة، وإدراك قوة الديميورج الحقيقية المقترنة بحدودها الحقيقية، ودور الغنوص، والرؤية المباشرة، باعتبارها الآلية المحددة التي تكسر سلطة الديميورج، وفهم الوعي البشري كجزء من الموناد بدلاً من كونه خلقًا ماديًا.

كان كل شيء موجوداً، وقد وُصف بدقة توحي ليس بالتكهنات النظرية، بل بالرسم الخرائطي التجريبي المباشر. نفس النوع من الوصف الدقيق والمنهجي الذي ينتجه العالم عندما يقوم بتوثيق ما لاحظه بالفعل، بدلاً مما يتوقعه أو يرغب في ملاحظته.

إن مفهوم يونغ عن التفرّد، وهو الهدف المركزي لنظامه النفسي، والعملية التي من خلالها يدخل الأنا في علاقة صحيحة مع الذات، هو عندما تفهم أصوله، وهو نسخة مترجمة نفسياً من عملية التحرر الغنوصية.

إن الذات التي يصفها يونغ ليست الأنا. إنها ليست الهوية الشخصية، أو الشخصية الاجتماعية، أو السرد البيوغرافي الذي يختبره معظم الناس على أنه الأنا. إنها مجمل الوعي، ما أسماه أيضًا النفس الموضوعية، واللاوعي النفسي، والبعد المتعالي للوعي، الذي يتجاوز نطاق الأنا بشكل كبير، والذي يمكن للأنا، عندما يتم توجيهها بشكل صحيح، أن تتعرف عليه باعتبارها أساس وجودها الفعلي.

من الناحية الغنوصية، فإن الأنا هي الذات المادية، والهوية التي تختبر نفسها على أنها محاصرة داخل النظام، وخاضعة لسلطة الديميورج، ومحدودة بالقانون المادي والنفسي.

الذات، هي شظايا الموناد، شرارة الوعي الإلهي التي تسبق النظام المادي، وفي النهاية لا تخضع لسلطة الديميورج. التفرّد هو إدراك الموناد في اللغة النفسية. كان يونغ يعلم ذلك. لقد قال ذلك بلغة متحفظة بعناية، كرجل شاهد زملاءه يرفضون عمله باعتباره ضرباً من التصوف، وكان يدرك أن الإفصاح المفرط عن الأبعاد الروحية لعلم النفس الخاص به سيؤدي إلى رفض المجتمع العلمي الذي كان بحاجة إلى الوصول إليه للمشروع بأكمله.

لكن في كتاباته الخاصة، وفي مراسلاته مع كويسبيل ومع اللاهوتي مارتن بوبر، وفي الوثيقة الاستثنائية "جواب أيوب"، التي كتبها قرب نهاية حياته، قال يونغ بصراحة متزايدة: "إن هدف التطور النفسي هو إدراك ما أطلق عليه الغنوصيون اسم الموناد". إدراك أنك لست الأنا. أنت الذات. أنت الوعي الذي يختبر الأنا، وليس الأنا التي تختبر الوعي المتوسع من حين لآخر. وهذا الإدراك، وهذا التحول في موضع الهوية من الأنا إلى الذات، من الجزء المادي إلى وعي الموناد، هو التحرر الذي كانت كل التقاليد الروحية الحقيقية تشير إليه في اللغة والإطار المتاح لها.

والآن، دعونا ننتقل من الجانب التاريخي والنظري إلى الجانب العملي. لأن أهم شيء يجب فهمه حول التقاليد الغنوصية وتطوير يونغ لها هو أن أياً منهما لم يكن مهتماً في المقام الأول بالتأمل اللاهوتي. كلاهما كان مهتماً بالتطبيق العملي، وبالعمليات المحددة والمتكررة للوعي التي تنتج التعرف على هوية الموناد، وبالتالي كسر سلطة الديميورج على تجربة المرء للواقع.

إن الممارسة التي قام يونغ بتوليفها في نهاية المطاف، بالاعتماد على النصوص الغنوصية، وعلى تجربته المباشرة الخاصة، وعلى عقود من العمل مع المرضى الذين لاحظ تحررهم النفسي عن كثب، تتكون من ثلاثة مكونات أساسية. ومن المهم فهم سبب احتوائه على ثلاثة مكونات بدلاً من مكون واحد قبل محاولة ممارسة التمرين نفسه.

إن إدراك هوية الموناد ليس مجرد فكرة واحدة تأتي مرة واحدة وتكون كاملة. إنها قدرة تتطور تدريجياً من خلال التفكيك المنهجي للهويات التي تحافظ على سلطة الديميورج. يتناول كل مكون من المكونات الثلاثة طبقة مختلفة من تلك الهوية.

يتناول المكون الأول الهوية الفكرية، أي الاعتقاد، الذي يعمل عادة دون مستوى الفحص الواعي، بأن السلطة الدنيوية هي السلطة المطلقة. يتناول المكون الثاني الهوية التجريبية، والشعور الملموس بكون المرء كائناً مادياً في عالم مادي، منفصلاً عن أي مصدر للوعي أكبر من ذاته. يتناول المكون الثالث الهوية المنهجية، والافتراض بأن الاستجابة المناسبة للتقييد هي المقاومة والنضال والقوة.

كل طبقة، عند إذابتها من خلال الإدراك بدلاً من القوة، تزيل أحد الركائز الهيكلية لسلطة الديميورج على التجربة، والثلاثة معًا، عند ممارستها باستمرار، تُحدث تحولًا في موضع الهوية يصفه الممارسون باستمرار بأنه ليس دراماتيكيًا أو مفاجئًا، على الرغم من الطبيعة الدرامية والمفاجئة لمواجهة يونغ الأصلية، ولكنه تدريجي ومستقر وقابل للتحقق من خلال آثاره على التجربة اليومية، بدلاً من الحالات الصوفية التي تظهر وتختفي دون عواقب دائمة.

دعونا نفحص كل مكون بالتفصيل الذي يتطلبه. يتناول المكون الأول من هذه الممارسة ما يمكن أن نسميه ارتباك السلطة الذي يكمن في صميم علاقة معظم البشر بالسلطة الدنيوية. إن آلية التحكم الأكثر فعالية للديميورج ليست القوة. إنها الخلط بين السلطة المحدودة والسلطة غير المحدودة، والتشويش المنهجي للتمييز بين "هكذا يعمل النظام المادي" و"هذه هي الحقيقة المطلقة".

عندما تشعر بألم جسدي، فإن نظام سلطة الديميورج يوصل إليك رسالة مفادها: "هذا هو الحد الأقصى". عندما تتعرض للرفض الاجتماعي، فإن نظام السلطة يرسل إليك رسالة مفادها: "هذا يحدد قيمتك الأساسية". عندما تختبر السلطة المؤسسية، القانونية والاقتصادية والسياسية والدينية، فإن نظام السلطة يوصل إليك رسالة مفادها: "هذا هو أعلى مستوى من الواقع ستواجهه على الإطلاق".

هذه الاتصالات ليست أكاذيب بالمعنى الدقيق للكلمة. الألم الجسدي حقيقي. للرفض الاجتماعي عواقب حقيقية. تؤثر السلطة المؤسسية على الظروف المادية بطرق بالغة الأهمية. لكنها حقائق جزئية تُعرض على أنها حقائق كاملة. إنها السلطة الحقيقية للديميورج على الواقع المادي، والتي تُقدم على أنها سلطة على الوعي نفسه. والتمييز، والإدراك بأن سلطة الديميورج حقيقية داخل نطاقه، ولكنها لا تمتد إلى الوعي نفسه، هو التحرر الأول.

عملياً، يتطور هذا المكون من خلال ما يمكن أن نسميه اختبار الواقع المنهجي. ليس اختبار الواقع من خلال الشك، والتساؤل عما إذا كانت تجربتك حقيقية، بل اختبار الواقع من خلال التمييز، والتساؤل عن مستوى الواقع الذي تنتمي إليه تجربتك، وبالتالي ما هي السلطة التي تتمتع بها بالفعل.

عندما تواجه نوعًا من المعاناة، أو التقييد، أو السجن الظاهري، فإن المكون الأول يسأل: "هل هذا قيد مادي، أم أن هذا الشعور يُعاش كما لو كان قيدًا على الوعي نفسه؟" الألم الجسدي يقيد الجسم. لكن لا يحد ذلك من الوعي. القيود الاقتصادية تحد من الخيارات المتاحة للذات المادية. لكنها لا تقيد شظية الموناد التي تخوض التجربة. تُقيّد السلطة المؤسسية السلوك في العالم المادي. لكنها لا تقيد جوهرك.

هذا التمييز ليس التفافاً روحياً، ولا طريقة لاستخدام اللغة الروحية لتجنب التعامل مع المشاكل المادية الحقيقية. إنه توسيع للسياق يغير العلاقة بين الشخص الذي يختبر

الشيء الذي يتم اختباره. إنك لا تشعر بالألم بشكل أقل عندما تدرك أنه قيد مادي، وليس هجومًا على طبيعتك النهائية، ولكنك تشعر به بشكل مختلف، من موقع استقرار أكبر، من مركز هوية لا تبتلعه التجربة المباشرة تمامًا.

هذا قابل للتحقق. ليس هذا ضرباً من ضروب التصوف. يوضح علم الأعصاب إدراك الألم بوضوح أن السياق المعرفي والعاطفي الذي يحدث فيه الألم يؤثر بشكل كبير على كل من شدة تجربة الألم الذاتية والدرجة التي يعطل بها الألم الأداء النفسي والفسيولوجي.

إن الآلية الموصوفة بمصطلحات غنوصية على أنها إدراك لحدود الديميورج مقابل حرية الموناد تتطابق مباشرة مع ما يسميه البحث المعاصر الفرق بين الألم والمعاناة، حيث يمثل الألم الإشارة الحسية الخام، بينما تمثل المعاناة عملية صنع المعنى الثانوي الذي يحدد مقدار الوعي الذي تستهلكه الإشارة.

إن إدراك الموناد لا يزيل الألم. يقلل ذلك بشكل كبير من المعاناة عن طريق إزالة الافتراض بأن إشارة الألم تمثل هجومًا على شيء نهائي. وينطبق المبدأ نفسه على كل مستوى من مستويات نظام سلطة الديميورج. القلق الاقتصادي، والقيود الحقيقية على الخيارات المادية، ولكن ليس القيود على الوعي الذي يتنقل في ظل هذه القيود. فقدان العلاقات، عواقب حقيقية على الذات الاجتماعية، ولكن ليس دليلاً على أن الوعي نفسه قد تضاءل أو تضرر بشكل دائم. الموت. نهاية الشكل المادي، ولكن هذا هو المكان الذي تتطلب فيه الممارسة أكبر قدر من التطوير وأكبر قدر من العناية. ليس بالضرورة نهاية ما يحدث أثناء التجربة.

المكون الثاني من الممارسة أكثر تحديًا من الناحية التجريبية من المكون الأول لأنه لا يتطلب مجرد إدراك فكري، بل ما أسماه يونغ عيش الرمز. الاتصال التجريبي المباشر بوعي الموناد بدلاً من الفهم المفاهيمي له.

تعتمد سلطة الديميورج بشكل كبير على ما يمكن أن نسميه صلابة الهوية المادية. الشعور بأن المادة أكثر واقعية من الوعي، وأن الجسد أكثر جوهرية من الإدراك، وأن العالم المادي هو الأساس الذي تظهر عليه التجربة الذاتية كظاهرة ثانوية.

هذا هو الافتراض الميتافيزيقي السائد في الثقافة الغربية الحديثة، ويتم تعزيزه على كل مستوى من خلال المادية العلمية، والأنظمة الاقتصادية التي تعامل الوعي كمنتج ثانوي للآلات البيولوجية، والأنظمة الدينية التي تحدد الواقع الإلهي في إله خارجي بدلاً من وعي الممارس، ومن خلال المباشرة البسيطة والمستمرة والمقنعة للتجربة الحسية. تبدو المادة أكثر واقعية من العقل. يبدو الجسد أكثر جوهرية من الوعي، وطالما أن هذا الشعور صحيح، ليس فقط طالما يتم الإيمان به فكرياً، ولكن طالما أنه الإحساس المعاش بوجود المرء، فإن سلطة الديميورج تبقى محفوظة جيداً.

يتناول المكون الثاني هذا الأمر من خلال ممارسة وصفها كل من المعلمين الغنوصيين ويونغ بلغة مختلفة ولكن بخصائص هيكلية متسقة. وهي تنطوي، في أبسط صورها، على تحويل الانتباه من محتويات التجربة إلى الوعي الذي يمر بها.

هذه ليست ممارسة جديدة. يظهر ذلك في أدفايتا فيدانتا كاستقصاء ذاتي، وفي التقاليد البوذية كتأمل الوعي، وفي التصوف المسيحي كصلاة الانتباه الخالص، وفي تقنية الخيال النشط ليونغ كانتباه للمُرَاقب بدلاً من المُراقِب. لكن الإطار الغنوصي كان يحتوي على شيء مهم غالباً ما يكون مفقوداً في التقاليد الأخرى. الفهم الواضح لسبب أهمية هذه الممارسة من حيث علاقة السلطة المحددة بين وعي الموناد وسلطة الديميورج.

عندما توجه انتباهك إلى الوعي نفسه، عندما لا تلاحظ ما تختبره، بل حقيقة أن التجربة تحدث من الأساس، فإن مجرد وجود الوعي يؤدي إلى حدوث عدة أشياء بالتتابع. أولها أن الشعور بالصلابة الذي يصاحب تحديد الهوية المادية يبدأ في التلاشي. لا يختفي العالم المادي أو يصبح أقل واقعية، ولكن خاصية كونه الأساس المطلق للواقع تبدأ في أن تحل محلها معرفة شيء أكثر جوهرية. الوعي نفسه الذي تنبثق منه كل التجارب.

الأمر الثاني هو أن الحدود بين الذات والتجربة تصبح أكثر مرونة. إن الشعور بكون المرء ذاتاً ثابتة تواجه عالماً خارجياً، وهو البنية التجريبية الأساسية لتحديد هوية الديميورج، يبدأ في أن يحل محله الشعور بالوعي باعتباره المجال الذي يظهر فيه كل من الذات والعالم.

هذه هي بداية إدراك الموناد. ليس الأمر متعلقاً بمعتقد حول ماهيتك. إدراك مباشر وفوري لما يحدث فعلياً في كل لحظة من التجربة. إن الوعي ليس نتاجاً ثانوياً للمادة، بل هو الوسط الذي تظهر فيه المادة. والأمر الثالث الذي يميل إلى الحدوث مع تعمق هذا الإدراك من خلال الممارسة المستمرة هو أن سلطة الديميورج تبدأ في أن تبدو مختلفة نوعياً. ليس أقل واقعية. لا تقل قوتها في نطاقه. لكنها محدودة بطريقة كانت غير مرئية سابقاً. تبدأ في إدراك الذكاء الحاكم للنظام المادي بالطريقة التي تدرك بها اللغة كنظام من القواعد التي تعمل ضمن سياق أكبر لا تقوم بإنشائه ولا تتحكم فيه. اللغة حقيقية. قواعدها حقيقية. لها تأثيرات حقيقية على ما يمكن قوله. لكن اللغة لا تخلق الوعي الذي يستخدمها. وإدراك هذا القيد لا يجعل اللغة أقل فائدة. إنها تغير علاقتك بالقواعد من مجرد تحديدها إلى استخدامها بمهارة.

أما المكون الثاني الذي يتم ممارسته باستمرار فيؤدي إلى هذا التحول في العلاقة بنظام سلطة الديميورج. ليس الهروب من العالم المادي. علاقة مختلفة بالعالم المادي. عالم تكون فيه قواعد العالم المادي حقيقية وقابلة للتطبيق، ولكنها ليست نهائية. حيث تكون العقول الحاكمة للمادة حقيقية وقوية، ولكنها ليست قادرة على كل شيء. حيث يكون السجن حقيقياً وحاضراً، لكنك في الوقت نفسه أكثر مما هو مسجون.

إن الممارسة نفسها بسيطة في وصفها ولكنها تتطلب جهداً كبيراً في تنفيذها. اجلس بشكل مريح، وأغمض عينيك، وبدلاً من الانتباه إلى الأفكار أو المشاعر أو الأحاسيس التي تشكل جميعها محتويات التجربة، انتبه إلى الوعي الذي يدرك هذه المحتويات.

ليس مجرد إدراك لشيء ما، بل مجرد إدراك. ملاحظة خالصة. حقيقة أن التجربة تحدث.

هذا أمر صعب لأن العقل الذي يتم تدريبه من خلال التماهي مع الديميورج يكون موجهاً بشكل قهري تقريباً نحو المحتوى نحو شيء ما يجب الاهتمام به أو تحليله أو إدارته أو التحكم فيه. إن توجيه الانتباه نحو الوعي نفسه يبدو في البداية وكأنه توجيه نحو العدم. كأنك تحاول رؤية العين التي ترى. هذا صحيح، وهذا الشعور الأولي بعدم محاولة تحديد موقع شيء لا يمكن تحديد موقعه بنفس الطريقة التي يمكن بها تحديد موقع شيء هو في حد ذاته إدراك مهم.

لا يمكن إيجاد الوعي كشيء داخل التجربة لأن الوعي ليس شيئًا داخل التجربة. إنها المساحة التي تظهر فيها الأشياء. وهذا الإدراك بأن ما تنظر به ليس ما تنظر إليه هو بداية التحرر الثاني. ما أنت إن لم تكن محتوى تجربتك؟ أنت الوعي الذي تظهر فيه تلك المحتويات. أنت المساحة التي تُعرض فيها دراما الديميورج. أنت وعي الموناد الذي لا يستطيع النظام المادي احتواءه في نهاية المطاف لأنك سابق للنظام المادي.

هذا يبدو مجرداً. يصبح الأمر ملموساً من خلال الممارسة. ويختلف الخط الزمني الذي يصبح فيه الأمر ملموساً عندما ينتقل من الفهم الفكري إلى التجربة المعاشة اختلافاً كبيراً بين الممارسين، ولهذا السبب يشمل النقل الصادق لهذه الممارسة النطاق الكامل لما يبلغه الناس بالفعل.

وثّق يونغ حالات في ممارسته السريرية حيث حدث التحول من التماهي مع الأنا إلى التماهي مع الذات - وهو ما كان يصفه باللغة النفسية بأنه ما وصفه الغنوصيون باللغة الكونية - في غضون أسابيع بعد ما أسماه تجربة روحانية - لقاء مباشر مع البعد المتعالي للنفس الذي كسر ادعاء الأنا الحصري بالهوية.

كما وثق حالات استغرق فيها التحول سنوات من الممارسة المتسقة للمريض مع تخفيف تدريجي للارتباط المادي، حيث قارن الممارس علاقته الحالية بالمعاناة بعلاقته بها في بداية العملية.

كلا المسارين حقيقيان. لا يوجد خيار أكثر صحة من الآخر. إن الإدراك المفاجئ ليس أكثر صدقاً من الإدراك التدريجي. إن التدرج ليس أكثر موثوقية من المفاجأة. القاسم المشترك بينهما هو أنه لا يمكن إجبارهما. لا يمكن الاستعداد لهما إلا من خلال الممارسة المستمرة التي تخلق الظروف التي يمكن فيها تحقيق الإدراك.

أما الخط الزمني لممارسة المكون الثاني، استنادًا إلى الملاحظات السريرية ليونغ والتقارير المتسقة للممارسين المعاصرين الذين يعملون ضمن هذا الإطار، فهو ما يقرب من 4 إلى 6 أسابيع من ممارسة الوعي اليومية لمدة 20 دقيقة قبل أن يحدث التحول من "هذا مفهوم مثير للاهتمام" إلى "هذا ما يحدث بالفعل".

هذا ليس ضماناً. إنه توقع معقول بناءً على ما يبلغه الممارسون باستمرار. ومن الجدير بالذكر أن نكون صادقين بشأن هذا التباين لأن البديل، الذي يعد بنتائج محددة على خط زمني محدد، هو بالضبط نوع من الإلحاح المصطنع الذي يحل محل النقل الحقيقي.

يتناول المكون الثالث ما قد يكون العنصر الأكثر تناقضًا في الممارسة بأكملها، وهو الإدراك بأن محاربة الديميورج، ومقاومة النظام، والنضال ضد القيود، ومحاولة هزيمة القوى الحاكمة للواقع المادي من خلال قوة الإرادة، ليس فقط غير فعال بل إنه يأتي بنتائج عكسية.

يتعارض هذا مع كل الروايات الثقافية تقريباً حول التحرر والتغيير والحرية . إن الثقافة الغربية مليئة بقصص التحرر من خلال المقاومة والثورات والتمردات والنضالات البطولية ضد الأنظمة القمعية. وهذه القصص ليست خاطئة فيما يتعلق بأهمية مقاومة

الأنظمة المادية القمعية، السياسية والاقتصادية والاجتماعية. لكنها تعالج مشكلة مختلفة عن تلك التي يهتم بها المكون الثالث.

إن مكافحة الأنظمة المادية الجائرة، والدعوة إلى التغيير السياسي، ومقاومة الاستغلال الاقتصادي، وتحدي القمع الاجتماعي، كلها أنشطة مشروعة تماماً وضرورية في كثير من الأحيان. إن المكون الثالث لممارسة إدراك الموناد ليس حجة ضد هذا النوع من المشاركة. إنه يتناول موضوعاً مختلفاً. الديناميكية الداخلية للمقاومة التي تبقي الوعي مقيداً بالتماهي مع القيود، حتى عندما تكون الظروف المادية التي يقاومها حقيقية.

هناك مفارقة في صميم التحرر النفسي والروحي، وقد تعاملت معها كل التقاليد الرئيسية. غالباً ما يعزز السعي للهروب من القيود التماهي مع القيود لأن الجهد، وخاصة نوع المقاومة المجهدة التي تميز القتال ضد شيء ما، يتطلب الحفاظ على واقع ما تحاربه. لا يمكنك محاربة شيء رأيته بوضوح. لا يمكنك محاربة شيء لا يزال له سلطة على تجربتك، وفعل القتال نفسه هو تأكيد لتلك السلطة.

هذا ما اكتشفه يونغ في لقائه المباشر مع الديميورج. عندما حاول المقاومة بالقوة، من خلال تأكيد إرادته ضد مطالب الكيان، اشتدت قوة الكيان. ليس لأن الكيان كان أقوى من إرادة يونغ، ولكن لأن المقاومة في حد ذاتها شكل من أشكال المشاركة، والمشاركة تعترف بسلطة ما يتم التعامل معه.

حدث التحول عندما انتقل يونغ من المقاومة إلى الإدراك. ليس الأمر أنني أرفض مطالبك، فهذا لا يزال علاقة بالمطالب، بل أنني أرى حقيقتك، وهي علاقة مختلفة تماماً بمصدر المطالب. عندما تفهم النظام من خلاله، لن تحتاج إلى مقاومته. إن إدراكه يزيل سلطته عليك بطريقة لا تستطيع المقاومة فعلها. لا تزال تواجه العواقب المادية للنظام.

إن سلطة الديميورج على المادة حقيقية، وآثارها حقيقية. لكنك تتنقل بينها من خارج نطاق التماهي، من موقع الوعي الذي يفهم ماهية النظام وما ليس هو عليه، بدلاً من داخل التماهي، حيث تبدو قواعد النظام وكأنها الحقيقة المطلقة.

من الناحية العملية، يتضمن المكون الثالث تطوير ما يمكن أن نسميه رد الفعل الإدراكي، أي القدرة على الاستجابة لتجارب التقييد والمعاناة والسجن الظاهر من خلال عدم السؤال "كيف أهرب من هذا؟" لكن "ما هذا؟" ليس المقصود هنا وضع استراتيجيات حول كيفية هزيمة سلطة الديميورج في ظرف معين، بل رؤية الآلية الدقيقة التي تعمل بها سلطة الديميورج في ذلك الظرف تحديداً، وما الذي تعتمد عليه لتحقيق فعاليتها.

هذه ممارسة للصدق الجذري، وهي النظر إلى بنية معاناتك الخاصة دون إضافة القصص التي ترويها عنها. وما تجده باستمرار عندما تنظر بهذه الجودة من الانتباه الصادق هو أن المعاناة، الحقيقية والصادقة، والتي لا ينبغي التقليل من شأنها، تعتمد في شدتها الكاملة على شيء يتجاوز الظروف المادية الخام. يعتمد الأمر على التماهي، وعلى الاعتقاد، الذي يعمل عادة دون وعي، بأن الظروف المادية تقول شيئًا نهائيًا عن ماهيتك، وما تستحقه، وما هو الواقع في جوهره. وعندما ترى هذا، عندما ترى عملية التماهي تعمل، فأنت لم تقم بحلها بعد، ولكنك اتخذت الخطوة الأولى نحو الحل، وهو جعل غير المرئي مرئياً.

الإدراك ليس اكتمالاً. إنها بداية العملية التي من خلالها يصبح الإنجاز ممكناً. وصفت إحدى الممارسات التي عملت ضمن هذا الإطار لمدة ثماني سنوات تقريبًا، والتي طلبت أن يتم تعريفها فقط بخلفيتها المهنية كأخصائية نفسية سريرية قامت بدمج مناهج يونغ في عملها مع الناجين من الصدمات، هذا التطور بعبارات تستحق الدراسة بعناية لأنها تمثل الشكل الحقيقي للمشاركة الصادقة طويلة الأمد في الممارسة.

في الأشهر القليلة الأولى، وصفت الممارسة بأنها تنتج في المقام الأول فهماً فكرياً. إن مفهوم الموناد والديميورج، والإدراك مقابل المقاومة، والوعي باعتباره سابقًا للمادة، كلها كانت منطقية بالطريقة التي تكون بها الأطر النظرية المثيرة للاهتمام منطقية. كان بإمكانها مناقشتها بوضوح، وشرحها للآخرين، ورؤية مدى صلتها بعملها السريري، لكنها لم تنتقل بعد من الفهم إلى المعرفة.

بدأت التحولات، كما ذكرت، في الشهر الثالث أو الرابع تقريباً بما وصفته بلحظة من الوضوح غير المتوقع خلال جلسة مع مريض كان يصف حادثة وحشية بشكل خاص من الصدمات الشخصية. وجدت نفسها في خضم هذا اللقاء السريري المؤثر للغاية، حاضرة تماماً في معاناة مريضتها، ومدركة في الوقت نفسه لشيء لم تكن قد لاحظته من قبل، وهو أن الجزء منها الذي تأثر، وتحرك، وانزعج، وانخرط مهنياً، لم يكن هو كل ما كان موجوداً في تلك الغرفة. كان هناك وعي لم يتأثر بنفس الطريقة، لم يكن منفصلاً، لم يكن متفككاً، بل كان واسعاً بطريقة لم يكن عليها الجزء المتأثر.

وتشير إلى أن هذا كان أول تلميح تجريبي لما يصفه النص بأنه إدراك الموناد. ليست تجربة صوفية مثيرة، بل مجرد ملاحظة بسيطة وهادئة بأن الوعي أكبر من محتويات الوعي، وأن هذا الوعي الأكبر هو ما كانت عليه بالفعل، بدلاً من التكوين المحدد للأفكار والمشاعر وردود الفعل التي كانت قد اختبرتها سابقًا على أنها ذاتها الكاملة.

على مدى الأشهر التالية، أصبح هذا الإدراك أكثر استقراراً، وأكثر توافراً في ظل ظروف أكثر صعوبة تدريجياً، والأهم من ذلك، أكثر فائدة في عملها السريري، ليس لأنها أصبحت أقل تأثراً بمعاناة مريضتها، ولكن لأن جودة وجودها قد تغيرت. لقد كانت قادرة على التواجد الكامل في المعاناة دون أن تستهلكها، وعلى التعامل مع القيود دون أن تتماهى معها، وعلى التعامل مع السلطة المادية للديميورج، والقيود الحقيقية للصدمات، وللأجهزة العصبية المتضررة، وللقيود الاقتصادية والاجتماعية، دون أن تفقد القدرة على إدراك أن هذه القيود، على الرغم من كونها حقيقية، تعمل ضمن سياق أوسع يمكن للوعي أن يدركه ويتعامل معه.

هذا هو شكل إدراك الموناد في الممارسة العملية، وليس تجاوز الواقع المادي، بل التفاعل مع الواقع المادي من موقع الوعي الذي يعرف نفسه بأنه سابق للمادة التي يتفاعل معها وليس محددًا بها في نهاية المطاف. إن بناء ممارسة متسقة من هذه المكونات الثلاثة يتطلب أكثر من مجرد فهم محتواها المفاهيمي. يتطلب الأمر هيكلاً عملياً يجعل الممارسة مستدامة على مدى الأسابيع والأشهر التي تستغرقها عملية الإدراك للتطور من الفهم الفكري إلى التجربة المعاشة.

الإطار الزمني الذي يمتد لثلاثين يوماً والذي يلي ليس وصفة طبية. إنها هيكل، وتنظيم معقول للممارسة يأخذ في الاعتبار ما يبلغه الممارسون باستمرار حول كيفية تطور عملية الإدراك وأنواع العقبات التي تظهر عادة في كل مرحلة.

في الأسبوع الأول، ينصب التركيز بالكامل تقريبًا على المكون الأول، وهو الإدراك الفكري للتمييز بين سلطة الديميورج وواقع الموناد. هذا لا يعني مجرد قراءة معلومات عن الفرق. هذا يعني تطبيقه بشكل فعال ومستمر على كل تجربة من تجارب التقييد التي تنشأ خلال الأسبوع. في كل مرة تواجه فيها معاناة أو قيداً أو سجناً ظاهرياً، سواء كان جسدياً أو نفسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً، فإنك تمارس الإدراك الأول بشكل صريح.

هذا قيد حقيقي في المجال المادي. هذا المجال محكوم من قبل عقول حقيقية ذات سلطة حقيقية، لكن هذه السلطة لا تمتد إلى الوعي نفسه. تتمثل الممارسة في الأسبوع الأول أساساً في إعادة السياق بشكل متواصل. أنت لا تحاول أن تجعل المعاناة تختفي. أنت لا تحاول أن تصدق أن القيود المادية ليست حقيقية. أنت تتدرب على رؤية كل قيد مادي ضمن سياق أوسع، سياق الوعي الذي يدرك القيد ولكنه لا يكون محصوراً به في نهاية المطاف. توقع المقاومة.

إن جزء العقل الذي يتماهى مع نظام سلطة الديميورج لا يستسلم دون احتجاج. ستجد نفسك منجذباً مرة أخرى إلى التماهي الكامل مع المعاناة، وإلى الشعور بأن هذا القيد المادي المحدد هو في الواقع نهائي، ويقول حقاً شيئاً نهائياً عن طبيعتك. في كل مرة يحدث هذا، عليك التدرب على الإدراك الأول مرة أخرى. ليس بسبب الإحباط من فقدان الإدراك، بل للتكرار البسيط. إن الإدراك هو الممارسة، والتكرار هو كيفية تطوره.

في الأسبوع الثاني، تقدم المكون الثاني، وهو توجيه الانتباه إلى الوعي نفسه. 20 دقيقة يومياً في وقت ثابت مع نية محددة للتركيز على الوعي بدلاً من محتويات الوعي. ستواصل أيضاً ممارسة الأسبوع الأول المتمثلة في تطبيق أول عملية إدراك للقيود المادية كلما ظهرت على مدار اليوم.

بحلول نهاية الأسبوع الثاني، عادةً ما يبلغ الممارسون عن أحد الأمور الثلاثة التالية: شعور مبدئي بما يعنيه الانتباه إلى الوعي بدلاً من المحتوى، أو شعور محبط بأنهم لا يستطيعون تحديد الوعي كموضوع، أو عدم وجود تقدم ملحوظ وعدم اليقين بشأن ما إذا كانوا يمارسون بشكل صحيح. جميع هذه الأمور الثلاثة طبيعية. إن الشعور المحبط بعدم القدرة على تحديد موقع الوعي كشيء هو في حد ذاته معلومة مهمة. إنها بداية الإدراك بأن الوعي ليس موضوعًا ضمن التجربة.

والشعور بعدم إحراز أي تقدم يكون خاطئًا في أغلب الأحيان، بمعنى أن التغيرات العصبية والنفسية التي تسبق الإدراك التجريبي تحدث دون عتبة الإدراك الواعي خلال هذه المرحلة.

في الأسبوع الثالث، يتم تقديم المكون الثالث، وهو ممارسة الإدراك بدلاً من المقاومة عندما تواجه التجارب التي تثير بقوة الشعور بأنك محاصر. هذه أمور فردية للغاية.

بالنسبة لبعض الممارسين، فإن تجاربهم مع الألم الجسدي أو المرض هي التي تؤثر على حياتهم. أما بالنسبة للآخرين، فتشمل تجاربهم في الفشل الاجتماعي أو الرفض. أما بالنسبة للآخرين، فإن مواجهاتهم مع السلطة المؤسسية، القانونية والاقتصادية والبيروقراطية، تؤكد على القيود الحقيقية للذات المادية. مهما كانت نسختك الخاصة من السلطة الأكثر فعالية للديميورج، التجربة التي تبتلع وصولك إلى إدراك الموناد بشكل كامل، يطلب منك الأسبوع الثالث أن تجعل ممارسة الإدراك مرتبطة بتلك التجربة بشكل مباشر. ليس الهدف جعل التجربة أكثر راحة، وليس الهروب من عواقبها المادية، بل رؤية الآلية التي يتم من خلالها الحفاظ على التماهي داخل التجربة. لا تسأل: "كيف أهرب من هذا؟" لكن "ما هذا في الواقع؟" والتدرب على البقاء مع الرؤية بدلاً من الانتقال فوراً إلى وضع استراتيجيات حول كيفية تغيير الظروف المادية.

يتضمن الأسبوع الرابع التكامل، حيث يتم إدخال جميع المكونات الثلاثة في عملية متزامنة بدلاً من الممارسة المتسلسلة. هذا لا يعني أنك ستتقن الممارسة في غضون أربعة أسابيع. هذا يعني أنك ستكون قد طورت معرفة كافية بكل مكون لتبدأ في تجربة كيفية عملها معًا، وكيف يدعم كل منها الآخر ويعمقه، وكيف تبدأ ممارسة إدراك المكونات الثلاثة في العمل كتوجه موحد للتجربة بدلاً من مجموعة من التقنيات المنفصلة.

ما يحدث بعد أول 30 يومًا، إذا تم الحفاظ على الممارسة بثبات معقول، يميل إلى اتباع مسار يمكن التعرف عليه مع وجود اختلافات فردية كبيرة في كل من الخط الزمني والصفات المحددة للتجربة. في الفترة ما بين 30 و 90 يومًا، يبلغ معظم الممارسين عما يمكن تسميته استقرار الإدراك، وهي قدرة متزايدة على الوصول إلى إدراك الموناد حتى في ظل الظروف التي كانت تستحوذ على الانتباه بالكامل في السابق.

هذا لا يعني أن القيود المادية تصبح أقل واقعية أو أن المعاناة تصبح أقل حدة. هذا يعني أن العلاقة بالمعاناة تتغير في الاتجاه الموصوف طوال هذا الاستكشاف، من التماهي

الكامل مع الذات المتألمة إلى سيولة أكبر بين الذات المتألمة والوعي الذي يدرك المعاناة.

بين 3 و 12 شهرًا، عادةً ما يبلغ الممارسون عن شيء يستغرق وقتًا أطول للتطور، ولكنه يمثل تحولًا أكثر جوهرية. تغييرات في ما يجذب الانتباه تلقائياً. يبدأ العقل الذي يتم تدريبه من خلال الإدراك المستمر للموناد في تطوير توجه افتراضي مختلف للتجربة، وهو التوجه الذي يطرح فيه السؤال: "ما هو الوعي الذي يحدث فيه هذا؟" ينشأ بشكل أكثر تلقائية، ويتطلب جهداً أقل تعمداً، ويؤدي إلى الوصول بشكل أسرع إلى الإدراك الذي كان يتطلب ممارسة مستمرة في الأشهر السابقة.

بعد مرور 12 شهرًا، يصف الممارسون على المدى الطويل ما وصفه يونغ نفسه في كتاباته الأخيرة، وهو شعور متزايد بأن التمييز بين وعي الموناد والتجربة المادية، مع بقائه حقيقيًا وقابلًا للتنقل، يصبح أقل جهدًا في الحفاظ عليه. ليس الأمر أن التمييز يختفي، فسلطة الديميورج في المجال المادي تظل حقيقية وتتطلب توجيهًا ماهرًا مستمرًا، ولكن التماهي الذي يعتمد عليه الديميورج للحصول على أعمق سلطة له، وهو تحديد الوعي بالمادة، وتحديد الإدراك بمحتويات الإدراك، يصبح أقل تلقائية، وأقل خفاءً، وأقل احتمالًا أن تكون الحالة الافتراضية التي يتم من خلالها تفسير كل تجربة.

تُكمل العديد من الممارسات ذات الصلة ممارسة الإدراك المكونات الثلاثة، ويمكن للممارسين الذين يجدونها مفيدة أن يدعموا تطور إدراك الموناد من زوايا مختلفة. إن دراسة نصوص نجع حمادي نفسها، ولا سيما كتاب يوحنا السري، وإنجيل توما، والرسالة الثلاثية، توفر إطارًا يجده العديد من الممارسين مفيدًا لفهم رحلتهم التجريبية في سياق أوسع مما يقدمه علم النفس الحديث.

يقدم العمل الأكاديمي لإيلين باجلز، ولا سيما كتابي "الأناجيل الغنوصية" و"ما وراء الإيمان"، تعليقاً علمياً سهلاً يساعد على التمييز بين ما تقوله النصوص بالفعل وبين مختلف التحريفات الشائعة التي تراكمت حول الأفكار الغنوصية.

إن كتابات يونغ الخاصة، ولا سيما الكتاب الأحمر، وجواب أيوب، والمقالات المجمعة في علم النفس والدين، توفر الترجمة النفسية للإطار الغنوصي مما يجعله في متناول الممارسين الذين يشعرون براحة أكبر مع اللغة النفسية مقارنة باللغة الكونية.

إن الممارسات التأملية للتقاليد التي حافظت على نسخ من ممارسة الوعي في صميم المكون الثاني، ولا سيما ممارسة الاستقصاء الذاتي في أدفايتا فيدانتا كما علمها راmana ماهارشي وخلفاؤه، وممارسات الإدراك المباشر في تقليد الدزوغشن البوذي التبتي، تقدم أطرًا منهجية متطورة تكمل النهج الغنوصي اليونغي.

هذه ليست أنظمة متنافسة. إنها خرائط مختلفة لنفس المنطقة، والممارسون الذين ينخرطون بجدية في هذه المنطقة لفترة كافية يجدون أنفسهم عادةً يعتمدون بشكل طبيعي على أطر متعددة مع تعمق فهمهم.

إن دمج هذه الممارسة مع الحياة اليومية، ومع العمل، والعلاقات، والأسرة، والنسيج الكامل للوجود المادي، هو في نهاية المطاف أكثر أهمية من أي جلسة ممارسة رسمية معينة. لأن سلطة الديميورج تُمارس في كل مكان، وليس فقط في سياقات الممارسة الرسمية، ويجب أن يصبح إدراك الموناد الذي يذيب تلك السلطة ممارسة في كل مكان، وليس ممارسة مخصصة لوقت محدد، لتحقيق إمكاناته الكاملة.

هذا لا يعني أنك بحاجة إلى أن تكون في حالة تأمل رسمي أثناء طهي العشاء أو التعامل مع موقف عمل صعب. هذا يعني أن القدرة على الإدراك التي تطورها في الممارسة الرسمية تصبح متاحة تدريجياً في النطاق الكامل لظروف الحياة، وهو مورد يمكنك الوصول إليه عندما تُمارس سلطة الديميورج بشكل أكثر فعالية، وذلك تحديداً لأنك مارست الوصول إليه عندما كانت الظروف أكثر دعماً.

إن ما اكتشفه يونغ في نهاية المطاف، وما أمضى عقوده الأخيرة في محاولة توصيله بلغة من شأنها أن تتجاوز عمليات الفصل الحتمية للزملاء الذين افتقروا إلى مرجعه التجريبي المباشر لما كان يصفه، كان شيئًا أبسط وأكثر جذرية مما قد يوحي به الإطار الكوني المعقد للنصوص الغنوصية.

إن علم الكونيات الغنوصي، والبليروما، والموناد، والديميورج، والأركونات، والشرارة الإلهية، هي بمثابة خريطة. إنها خريطة متطورة ودقيقة بشكل مدهش للبنية الفعلية للوعي وعلاقته بالواقع المادي. لكن مثل جميع الخرائط، فهي ليست هي المنطقة. إن المنطقة هي وعيك أنت الآن في هذه اللحظة من القراءة. إن المنطقة هي الوعي الذي يدرك هذه الكلمات، والذي يدرك وعيه الخاص، والذي لم يكن في كل التجارب التي تراكمت لديه أي شيء آخر غير ما كان عليه دائماً. الملاحظة الخالصة، والحضور الخالص، وحقيقة الوعي نفسه قبل كل محتوى، وكل تماهي، وكل قصة حول ماهيته والسلطة التي يخضع لها.

إن سلطة الديميورج حقيقية. القيود المادية لوجودك حقيقية. إن المعاناة الناتجة عن تلك القيود حقيقية ولا ينبغي تجاهلها أو التغاضي عنها روحياً. لكن أنت، أيها الوعي الذي يقرأ هذه الكلمات، تسبق كل ذلك. ليس بعد الموت، وليس في حالة مستقبلية من التطور الروحي. الآن. هذا ما أدركه يونغ في مواجهته مع الكيان الذي ادعى السلطة المطلقة. هذا ما كان يشير إليه المعلمون الغنوصيون في النصوص التي دُفنت لمنعك من قراءتها. هذا ما كان يسوع يعلمه في الأقوال التي تم استبعادها من الكتاب المقدس لمنعك من فهمها. إن إله هذا العالم ليس هو الله. إن حاكم الواقع المادي ليس مصدر الوعي. أنك لست ما قيل لك أنك عليه. غير خاضع للسلطة التي ادعت اختصاصها القضائي عليك. لستَ محاصراً بالطريقة التي شعرتَ بها بنفسك محاصراً. ليس لأن الفخ غير حقيقي، ولكن لأن ما أنت عليه هو أكثر مما هو محاصر فيه. وإدراك ذلك، ورؤيته، ومعرفته، والعيش انطلاقاً منه، هو المخرج الذي لا يتطلب كاهناً، ولا سراً مقدساً، ولا إذناً مؤسسياً، ولا قوة. الرؤية فقط. إن مجرد إدراكك أن قراءة هذا الجزء من الكتيب، ومتابعة هذا الاستكشاف حتى نهايته، قد بدأ بالفعل في داخلك. ليس لأنك اخترت، بل

لأنك كنت منتبهاً. والانتباه، الانتباه المستمر والصادق وغير المحمي لما هو موجود بالفعل في وعيك، هو كيف يدرك الموناد نفسه من خلالك على أنه أنت، الآن.